

نقد معجم تفسير القرآن الكريم

مع تفاسير القرآن الكريم نقد معجم تفاسير القرآن الكريم نقد معجم تفاسير القرآن الكريم

تأليف الشيخ

محمد بوخيزة الحسني التطواني

مكتبة الصحابة
الإمارات - الشارقة

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة .
ت : ٥٦٣٣٥٧٥ - فاكس : ٥٦٣٧٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة - عين شمس .
ت : ٢٤٩٣٨١٤٤ - فاكس : ٢٤٩٣٤٣٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

بقلم: الدكتور قطب الريسوني^(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن خيرَ ما استُفرغت فيه الجهود، وأكبرَ عليه العلماء إقراءً وتفسيراً ومُدارسةً كتابُ الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو دستور حياة، ونبراس هداية لخير أمة أُخرجت للناس، تستهدي

(١) أستاذ الفقه الإسلامي بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، ونائب وكيل

الكلية.

بنوره، وتستظل بظله في شؤون معاشها والمعاد،
ومصالح عاجلها والآجل..

وقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن، ويسر تلاوته
وفهمه، وإن من وسائل حفظه وتيسيره بيان مُحكمه
ومتشابهه، وإيضاح غامضه، واستجلاء إعجازه، وحصر
آيات أحكامه، واستنباط مقاصده، وهذه أغراض لا
يوفيها حقها، ويُقيم صناعتها، إلا عالمٌ أعدّ للتفسير
عدته، وأخذ له أخذه، فكان على بصر بعلوم اللسان،
وتمهر في أصول الدراية، وخبر بما يجتده في مصادر
التفسير من الأقاويل مختلفة ومؤلفة، وما يقع عليه من
ضروب الروايات صحيحة أو مكذوبة، مع الإعواز
الشديد إلى حسن نقدي يروّز النقل، وينتخل الرواية،
ويرد الحقائق إلى نصابها عارية عن الزيف، مصونة عن
التحريف!!

والمفسرون في كل عصر يتفاوتون في استيفاء هذه الشرائط تبعاً لتفاوت مستوياتهم في العلم، والتحقيق، والدُّربة، وهم أثناء ذلك كلّه وفوق ذلك كلّه، أصحاب اتجاهات متضاربة لا تستقيم على وجه، أو تنتظم في طريقة، فمنها اتجاه التفسير الاثري، واتجاه التفسير الصوفي الإشاري، واتجاه التفسير العلمي، واتجاه التفسير البياني، وهلم جراً وسحباً... بل إن فنّ التفسير كان كنفاً لكل نزعة فكرية، ونحلة دينية، وإن شابها ما شابها من دخلة سيئة وعقيدة رديئة، فما أجزأ طائفة من المفسرين على دين الله، لا ترعى للوحي حرمة، ولا تُقيم للتنزيل وزناً، وإنما ديدنها العبث في التأويل، والتحريف في الاستنباط، والاحتكام إلى الشاذ والدخيل، طمعاً في تعضيد مذهبها الفكري، وجلب الأتباع والمريدين!!

مهما يكن من أمر فإن تراثنا التفسيري -على وفرة
موارده وتنوعها- يحتاج إلى غريلة نقدية تزنه بميزان النقل
الصحيح، والفهم الصافي، والقاعدة المستقيمة، ولا
يتيسر ذلك أو بعضه إلا باستقصاء موادّ هذا التراث
وتصنيفها في معجم مستقل برأسه، مع التعريف
بأصحابها، وبيان مناحيها، وتعقّب أخطائها، ولا شك
أن منظمة الإيسيسكو اضطلعت بهذا الغرض الجليل
مشكورة السعي، موفورة الثواب، حين أصدرت :
(معجم تفاسير القرآن الكريم) في جزأين، كان أولهما
من تأليف العلماء الأجلاء : د. محمد الكتاني،
ود. عبد القادر زمامة، ود. عبد النبي فاضل، ود. عبد
الوهاب التازي، والثاني من تأليف الأستاذ محمد أبي
خبزة الذي أجاد في صنيعه أيما إجادة، وتعقّب صنيع
نظرائه في الجزء الأول في مواضع كثيرة كانت تفتقر إلى
تصحيح، أو بيان، أو استدراك، فما قصة هذا التعقّب،

وما الباعث عليه ، وكيف ساقه الناقد وعلى أية طريقة
أجراه؟!

يسعدنا، اليوم، أن نرفّ إلى عالم النور رسالة
موسومة بعنوان: (نقد معجم تفاسير القرآن الكريم)،
وهي تحوي بين جانحتيها -على ضؤلة حجمها- فوائد
جمّة في التفسير، وآراء مسدّدة في شيوخ العلم وكتبه،
حدا إليها حادي النقد المُنصف، والنصيحة الخالصة، لا
روم المباهاة، وقصد الاستطالة، وهوى التعالم، وكيف
لا ومؤلف الرسالة العلامة المحقق محمد بوخبزة
التطواني رجل نذر أطيب جهده ووقته للتخشع في
محارب العلم، والتضلّع من مناهل العرفان،
والاضطلاع بأغراض من الكتابة، ولم يزغ بصره يوماً
بذلاذل اللقب وبهارج الشهرة، ولا طمع على عادة لِداته
وأقرانه في اعتلاء المنابر، وتصدّر المجالس، والجري في
ركاب (الناعقين)، لكن الشهرة أدركته، والمجد واتاه،

وهو حِلْس بيته ، وفرد في صومعة العقول والقرائح !!
وما ذلك إلا لخلوص نيته ، وصفاء سريرته ، وجلده على
البحث والاطلاع . .

ولهذه الرسالة مناسبة تُذكر وباعث يجلّي ، وقد كان
المؤلف حريصاً على بيان ذلك في تصدير الجزء الثاني من
(معجم تفسير القرآن الكريم) حين قال : (في زيارة
أخوية كريمة لمقر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
في الرباط ، ناولني أحد الإخوة نسخة من معجم تفاسير
القرآن الكريم الذي ألفه الأساتذة الأفاضل : الدكتور
عبد الوهاب التازي سعود ، والدكتور محمد الكتاني ،
والأستاذ عبد القادر زمامة ، والأستاذ الفاضل عبد النبي ،
وقد سُررت لهذه الهدية الكريمة أيما سرور ، خصوصاً
وأنها. في موضوع أثير يتعلق بالقرآن العظيم الذي هو
أقدس المقدسات في الإسلام ، وأصل الأصول لشريعته ،

ومدبج بيراع علماء معروفين بعلمهم واطلاعهم، وبدأت
أقلب الأوراق وأنا في حديث مع الأخ المذكور،
فاستوقف نظري أخطاء مطبعية وفوات بعض
المعلومات، وقلتُ في نفسي: هذا ما لا يكاد يخلو منه
كتاب، ثم لاحظتُ النقص الماثل في مواده، وقبل أن
أكلم الأخ بما استوقفني ولاحظته، مدّ إليّ بورقة له
أبدى فيها الملاحظة نفسها، وذكر أسماء تفاسير مطبوعة
متداولة يعرفها، بل وتوجد عنده بمكتبته، وقد أغفلها
السادة المؤلفون، فأملتُ له أسماء تفاسير أخرى غير ما
ذكر، وقلتُ: إني أملك في مكتبتني المتواضعة ضعف ما
ورد في هذا المعجم. وبعد رجوعي لمسقط رأسي -
تطوان- ببضعة أيام، وافاني كتاب كريم من معالي
الدكتور/ عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام
للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، يكلفني فيه

بمراجعة كتاب معجم تفاسير القرآن الكريم وتنقيحه
وتكميله، وسدّ ما أراه من وجوه النقص فيه . . (١).

ولم يكن للشيخ أبي خبزة - وقد دُعِيَ إلى إبداء
النصيحة وخدمة العلم - إلا أن يلبي رغبة الإيسيسكو،
على ضيق وقته، ووفرة شواغله، وعوارض المرض التي
تواثبه بين الحين والآخر، فأكبّ على مطالعة الجزء الأول
من المعجم، وأجرى فيه القلم بالتصحيح والاستدراك،
حتى استوت لديه رسالة مستقلة برأسها، أودعها عَصَاة
ذهنه، وزُبْدَ رأيهِ، وبعث بها إلى المنظمة المذكورة،
بقصد الإفادة منها في مراجعة ما تنكّب جادة الصواب،
ومال عن مدرجة الحق، لكنها لم تهتدِ بشيء مما تعقّبه
الشيخ، وآثرت السكوت عن المآخذ مع أنها الطالبة
الراغبة!! ولعل لها منهجاً في الإدارة تسير عليه، وخياراً

(١) من مقدمة الجزء الثاني لكتاب معجم تفاسير القرآن الكريم، (ص ١٣).

في التأليف بين النفوس تحتكم إليه!!

ولما أخبرني شيخنا ومجيزنا العلامة محمد بوخبزة بأمر هذه الرسالة وباعث تحريرها، وأطلعني على محتواها، أدركتُ مكانتها فاحتشدتُ لها وسعيتُ لها سعيها، فاستأذنته في نشرها في الناس والتقديم لها بما يجلي منحها ويبرز عائدتها، يحدوني إلى ذلك حدوداً الظفر بنصيب من أجر خدمة العلم وأهله.

وقد وزع المؤلف رسالته إلى ثلاثة مباحث:

الأول: عني ببيان المآخذ التي لاحظها على المعجم باختصار وإجمال، والمبحث بهذه الصورة توطئة ضرورية لما سيأتي من نقد مفصل للمعجم، واستيفاء لأوجه النقص فيه.

الثاني: عني بتعقب نواقص المعجم وثراته في

مستويات شتى : علمية وتاريخية ولغوية ، إلا أن أكثرها يُدلي بسبب أو نسب إلى فن التفسير بوصفه الموضوع الأثير الذي دار عليه الكتاب ، وأرى أن المؤلف لم يجانب الصواب قيد أنملة فيما علّقه أو تعقّبه ، إذ إن ملاحظه لا تعدّ من موارد الاجتهاد ، أو مضايق الاشتباه ، والخطأ المنقود فيها واضح وضوح القمر في ليلة إضحيان ، ولا سيما إذا تعلّق الأمر بوهم في عزو ، أو ترجمة لعلم ، أو تحقيق لعنوان كتاب ، أو تخريج لحديث ، والشيخ فارس هذا المضمار بلا مدافع .

وزد على هذه المزايا والفضائل أن المؤلف لا يسكت عن باطل في تفسير مدخول أو كتاب رديء ، وإنما يكشف عوار المخالفة العقدية ، ويُسّفه الانحراف الفكري ، وينقم على المؤلفين إغضاءهم عن ذلك ، مع أن من مقاصد المعجم بيان منهج المفسّر والحكم عليه !!

ومن هنا يتجلّى الحسّ الدعوي في تضاعيف الرسالة يقطاً
وثاباً لا يُداهن في الحق، ولا يُحابي في النقد.

الثالث: عني برصد الأخطاء الشائعة في الجزء الأول
من المعجم مشفوعة بتصويبات دقيقة، والخطأ المتعقّب
ضربان:

أ - لغوي: يتصل بأخطاء الطباعة، وِرلات اللسان
في التعبير.

ب - علمي: يتصل بأوهام العزو، والتخريج،
وضبط أسماء الأعلام، وتحديد التواريخ، والحكم على
مناهج المفسرين.

إنّ هذه الرسالة النفيسة غرة في جبين المكتبة
الإسلامية، يلفي فيها قارئها بسطة علم، وصفاء فهم،
ونهوض حجة، وهي إلى ذلك موفورة الحظ من الطلاوة
والحلاوة، تُجبي إليها من ثمرات الأبّ أطيبها، ومن

أفواف البيان أبهاها . . ولا غرو فإن مؤلفنا محدود في
زُمرة الفقهاء الأدباء، بل إنه في حُضن الأدب درج
وترعرع، ومن أجله نشط في دنيا الصحافة والكتابة
منشئًا ومؤسسًا، وهذه بداية صحيحة لكل من يروم
كمالاً في علمه، واستقامة في أدواته.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات الذي علّم
بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم.

قطب الريسوني

٢ صفر ١٤٢٨هـ

* * *

المبحث الأول:

النقد الإجمالي لمعجم تفاسير القرآن الكريم

١ - إغفال تخريج كثير من الآيات من المصحف الشريف.

٢ - عدم اهتمام المؤلفين ببيان مذهب المفسرين رغم تأكيد مدير منظمة الإيسيسكو على استيفاء البحث عن مذهب المفسر لما لذلك من الأهمية في معرفة الاتجاه التفسيري، ثم هو من مقاصد وضع المعجم.

٣ - خلو المعجم من الفهارس المفصلة للأعلام والكتب والأماكن، ولا يخفى ما لهذه من الأهمية، وكذلك جدول الخطأ والصواب.

٤ - عدم اتحاد منهج الباحثين، فترجمة المفسر تارة تقدّم وأخرى تؤخّر، ومصادرها أحياناً تقدّم وأخرى تُذكر بعد البحث وتارة وسط البحث، ويلاحظ أحياناً ذكر

النماذج الطويلة المتعددة، وقد يكفي أحدها، ولا فائدة لهذا إلا تكبير حجم المعجم الموضوع للتعريف فقط.

٥ - سوء استعمال الفواصل والنقط والعلامات الإملائية، ولا سيما الفواصل، فأكثرها في غير موضعه، كما يُلاحظ كثرة البياضات الموهمة سقوط شيء، وكان ينبغي التقدم بحذفها تفادياً لما ذكرنا من الإيهام.

* * *

المبحث الثاني

النقد التفصيلي لمعجم تفاسير القرآن الكريم

{س١/ ص٢١} في كلام المؤلفين عن الأسباب الداعية إلى التفسير، قولهم: «أو مجاز يتطلب وجه المجازية فيه». أقول: المجاز لم يعرفه العرب في القرن الأول، وإنما عبر به معمر بن المثنى في المائة الثانية، وأنكر وجوده جماعة من العلماء في كلام العرب إلى الآن.

{س٢/ ص٢٢} حول أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس عن الفاظ من الغريب وجوابه عنها مستشهداً بالشعر الجاهلي... إلخ. هذه الصحيفة رغم شهرتها ليس لها إسناد صحيح، فكان ينبغي التنبيه على ذلك.

{س٣/ ص٢٣} لم يفصح المؤلفون عن القيمة العلمية لتفسير المجد الفيروزآبادي المسمى (تنوير المقباس)، من تفسير ابن عباس، مع أنه ذكر في أوله إسناده، وهو معروف

بوهائه، وعليه فلا يُعتمد على ذلك التفسير.

{س٤/ص٢٤} يلاحظ أن المؤلفين يذكرون ابن عباس مرة: ابن العباس معرّفًا، ومرة بابن عباس مُنكرًا، وكان ينبغي توحيد التعبير، ثم إنهم أغفلوا لقبه المشهور: (ترجمان القرآن).

{س٥/ص٢٤} قالوا عن سعيد بن جبير: إنه أول من فتح باب النظر. أسوة بابن عباس، ولم يتنبهوا إلى أنه كان في ذلك مسبوقًا بشيخه ابن عباس، فلا تصحّ هذه الأولية.

{س٦/ص٢٥} قالوا عن ابن مسعود بأنه كان متأثرًا بالمناخ الفكري، وأن أصحابه تميّزوا بالكوفة باستعمال الرأي، وكيف يجمع بين هذا وبين مُحاربة ابن مسعود للابتداع وشدته على المبتدعة؟!

{س٧/ص٢٦} قولهم عن محمد بن السائب الكلبي: إن العلماء لم يُجمعوا على توثيقه. وهي عبارة تُوهم أن

جمهور النقاد على توثيقه، والقضية بالعكس.

{س ٨/ ص ٢٨} عدّهم آيات الصفات - وهي كثيرة في القرآن - من المتشابه، وكذلك العدل والتوحيد، ولا أدري مرادهم بعدّ العدل والتوحيد من المتشابه، ولا يوجد في السلف الصالح من يعدّ آيات الصفات من المتشابه، فإن المستفيض عنهم أن معانيها معلومة، وأنها تمرّ كما جاءت، وأن تفوّض كيفيتها إلى الله تعالى.

فالتفويض في الكيفية فقط، وهذا كلام الإمام مالك وغيره: الاستواء معلوم، والكيف مجهول... إلخ.

{س ٩/ ص ٢٩} نقلوا كلام الشيخ الفاضل ابن عاشور عن تفسير يحيى بن سلام دون الإشارة منهم جميعاً إلى أن يحيى مُتَكَلِّم فيه، كما لم ينبهوا إلى تسرع ابن عاشور بالقطع بأن تفسير يحيى يُعتبر أول تفسير، مع علمه بوجود تفسير مجاهد وسفيان الثوري قبله وهما مطبوعان

{س ١٠/ ص ٣٢} اعتماد المؤلفين على المستشرق اليهودي

الحيث (جولد تسيهر) في زعمه أن النزعة العقلية التأويلية ظهرت قبل المعتزلة بوقت طويل، وقد لاحظها في تفسير مجاهد، ثم في تفسير الطبري بعده، وتبنوا دفاعه عنهم بسكوتهم، وكان الواجب ردّه لأنه زعم مجرد، وقد نزه الله سلفنا الصالح عن تحكيم العقل في الوحي، وإذا عرفنا أن طلائع الاعتزال ظهرت في أول عصر التابعين، والصحابة متوافرون فهمنا أن هدف المستشرق اليهودي اتهام الصحابة بالاعتزال، وَاللّٰهُمَّ ولعن الكاذب عليهم.

{س ١١ / ص ٤٦} دعوى أن المحدثين المتأخرين هم الذين تنبهوا إلى تفسير القرآن بالقرآن، وذكروا أسماء مفسرين نهجوا هذا النهج ولم يذكروا تفسير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي وهو معاصر، وتفسيره (أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن) قمة في هذا الموضوع وهو مطبوع متداول جداً، على أن هذه الميزة من ميزات تفسير ابن كثير كما شرحه في أوله.